عبد السلام أولباز

يُعد العمل جانبًا أساسيًا من الوجود الإنساني، فهو يشكل الهوية والبنى الاجتماعية وحتى التصورات الميتافيزيقية للمعنى. تستكشف هذه الأطروحة أنطولوجيا العمل — كوجوده وجوهره — من خلال عدسات فينومينولوجية، وجودية، وسياسية-اجتماعية. من خلال الانخراط مع مفكرين مثل ماركس، هايدغر، أرندت، ومنظّرين معاصرين، أجادِل بأن العمل ليس مجرد ضرورة اقتصادية، بل عنصر تكويني للواقع الإنساني. يسير التحليل عبر ثلاثة أبعاد رئيسية: (1) العمل كأسلوب للوجود-في-العالم، (2) اغتراب وصدق العمل تحت الرأسمالية، و(3) إمكانية أن يكون العمل مجالاً للتجاوز والمعنى. في النهاية، تؤكد هذه الأطروحة أن إعادة التفكير فلسفيًا في العمل أمر ضروري لمعالجة الأزمات المعاصرة المتعلقة بالغاية، الأتمتة، والظلم الاقتصادي.

المقدمة: مشكلة العمل

طالما اعتُبر العمل سمةً محوريةً للحياة البشرية، لكن أهميته الفلسفية لا تزال موضع جدل. هل العمل مجرد وسيلة للبقاء، أم أنه يشكل جزءًا جوهريًا من الازدهار الإنساني؟ هل يشوه العمل تحت الرأسمالية الحديثة الإمكانات البشرية، أم يمكن إعادة تصوره كمجال للصدق الوجودي؟

تدرس هذه الأطروحة العمل ليس كفئة اقتصادية فحسب، بل كمشكلة فلسفية — تتقاطع مع الميتافيزيقا، الأخلاق، والنظرية السياسية. من خلال تحليل العمل فينومينولوجيًا (كخبرة معاشة) وأنطولوجيًا (كهيكل للوجود)، أهدف إلى الكشف عن تداعياته العميقة على الحرية الإنسانية، المعنى، والتنظيم الاجتماعي.

المحور الأول: العمل كنمط للوجود-في-العالم (أسس فينومينولوجية)

1.1 هايدغر و"الجاهزية" في العمل

يقدم مارتن هايدغر في كتابه «الكينونة والزمن» (1927) إطارًا حاسمًا لفهم العمل كظاهرة وجودية. بالنسبة لهايدغر، تكشف الأدوات والعمل عن طبيعة الواقع "جاهز-للإستخدام" (Zuhandenheit) — فالعمل ليس مجرد نشاط، بل طريقة لمواجهة العالم، و يكشف عن الهياكل الأعمق للاهتمام الإنساني والعالمية.

1.2 حنا أرندت : العمل، الصنع، والفعل

تميز حنا أرندت (فيلسوفة ألمانية) في كتابها «الشرط الإنساني» (1958) بين :

- العمل* (animal laborans) – الضرورة البيولوجية الدورية (مثل الزراعة، التكاثر) .

- الصنع («homo faber») – خلق أشياء دائمة (مثل الفن، العمارة) .

- الفعل (vita activa) – المشاركة السياسية والتفاعل البشري .

تنتقد أرندت الحداثة لاختزالها كل النشاط في العمل فقط، مما يؤدي إلى تآكل المجال العام. هذا يطرح أسئلة أخلاقية : هل يجرد العمل المعاصر البشر من قدرتهم على الفعل الذي ينتج المعنى و القيم الجميلة ؟

المحور الثاني : الاغتراب وأزمة العمل تحت الرأسمالية

2.1 نظرية ماركس في الاغتراب

يحدد كارل ماركس في «مخطوطات 1844 الاقتصادية والفلسفية» أربعة أبعاد للاغتراب في العمل الرأسمالي :

1. «اغتراب العامل عن منتج عمله» (العمال لا يملكون ما يصنعونه) .

2. «اغتراب العامل عن فعل الإنتاج» (يصبح العمل إلزاميًا، غير مُرضٍ) .

3. «اغتراب العامل عن جوهره النوعي»(قمع الجوهر الإبداعي للإنسانية) .

4. «اغتراب العامل عن العمال الآخرين» (المنافسة تحل محل التضامن) .

يحول هذا الاغتراب العمل من مجال محتمل لتحقيق الذات إلى قوة قمعية .

2.2 نقد ما بعد العمل (غرايبر، ويكس، فيديريتشي)

يجادل منظّرون معاصرون مثل ديفيد غرايبر (في كتاب "وظائف زائفة") وكاثي ويكس (في كتاب «مشكلة العمل») بأن الكثير من العمل الحديث بلا معنى، فهو يخدم أنظمة بيروقراطية واستغلالية بدلاً من احتياجات البشر . تمتد نقد سيلفيا فيديريتشي النسوي إلى العمل المنزلي غير المدفوع، مُظهرةً كيف تُقلل الرأسمالية من قيمة العمل الإنجابي .

سؤال :

عبد السلام أولباز

هل يمكن الإبقاء على مجتمع العمل، أم يجب أن نتحرك نحو مجتمع ما بعد العمل؟

المحور الثالث: العمل كتجاوز وصنع للمعنى

3.1 نيتشه وإرادة القوة في العمل

يشير مفهوم فريدريك نيتشه «إرادة القوة» إلى أن العمل يمكن أن يكون تعبيراً عن الإبداعية وتجاوز الذات. لكن تحت الرأسمالية، يتم استغلال هذه الدافع لتحويل العمل إلى مجرد إنتاجية.

3.2 سيمون فايل والبُعد الروحي للعمل

تجادل سيمون فايل في «الحاجة إلى الجذور» (1949) بأن العمل اليدوي، عندما يُمارس بكرامة، يمكن أن يكون شكلاً من الانتباه وحتى الصلاة. تنتقد العمل الصناعي الذي يُهين الروح، لكنها تقترح أن العمل ذو المعنى يربط البشر بالمقدس.

3.3 مستقبل العمل: الأتمتة، الدخل الأساسي العالمي، والتحرر

إذا جعلت الأتمتة الكثير من العمل زائداً، فهل يجب علينا إعادة تعريف دور العمل في الحياة؟ تقترح أفكار مثل الدخل الأساسي العالمي فصل البقاء عن العمل، مما يسمح للعمل بأن يصبح مسعىً طوعيًا وإبداعيًا بدلاً من ضرورة اقتصادية.

الخاتمة: نحو فلسفة للعمل الأصيل

العمل ليس قمعيًا بطبيعته ولا مُحرراً بطبيعته—بل هو مجال للصراع على المعنى الإنساني. يجب أن تتناول إعادة النظر الفلسفية في العمل:

- الاغتراب (كيفية استعادة الذات في الإنتاج).
- الأتمتة(ما إذا كان ما بعد الندرة يمكن أن يُحرر البشر من العمل الإلزامي).
- المعنى (كيفية هيكلة العمل كشكل لتحقيق الذات بدلاً من الاستغلال).

يعتمد مستقبل العمل على قدرتنا على تخيل اقتصاد يخدم الازدهار الإنساني بدلاً من إخضاع الإنسانية للمنطق الاقتصادي.